الأهازيج الليبية وعلاقتها بالموروث الثقافي (أهزوجة اللقاء أنموذجاً)

د. زهـرة خليفة سليمان سليمان ــ قسم اللغة العربية- كلية التربية -جامعة الزاوية

الملخص:

تناول هذا البحث بالدراســة والتحليل موضــوع (الأهازيج الليبية وعلاقتها بالموروث الثقافي) الذي اســتهلت فيه صــاحبته أشــكالاً متعددة من الموروث الثقافي خصــبت به أهزوجتها فحولته إلى نســيج فني بديع بنتْ عليه لحمة كلماته لتواجه به واقعها، فاستحضرت الأرقام الحسابية والعادات الاجتماعية والشعبية، وثقافتها الدينية والمعمارية ، وغيرها من الأصول الثقافية التي شكلت روافــد أصلية لشعريتها ودليلاً حضارياً على تشبثها بتراثها وهويتها.

Summary:

This research studied and analyzed the topic of (Libyan songs and their relationship to the cultural heritage), in which its author initiated multiple forms of the cultural heritage, enriched her songs, and transformed it into a wonderful artistic fabric on which she built the cohesion of her words to confront her reality. She invoked arithmetic numbers, social and popular customs, her religious and architectural culture, and others. One of the cultural assets that formed original tributaries to her poetry and cultural evidence of her clinging to her heritage and identity.

المقدمـــــــــة:

يُعد المــوروث الثقافي ركيزة أساسية من ركائز الأمم ، بل هو الهوية الحضارية، لأي أمة وعنوان اعتزازها بذاتها في ماضيها وحاضرها، بفقده تفقد انتماءها وأصالتها، فهو تراكم خبرة الإنسان في حواره مع الطبيعة، وحواره هذا يمثل التجربة المتبادلة بينه وبين محيطه، ويمثل أيضاً الذاكرة الحية للفرد والمجتمع ، والهوية التي يتعرف من خلالها الشعوب بعضهم ببعض، ويعد التراث بكل قيمه الثقافية والاجتماعية، مصدراً تربوياً، وعلمياً، وفنياً، واجتماعياً، فتراكم الخبرات يُكون الحضارات، وتراكم المعلومات يكون الذاكرة [1].

ولما كان التراث هو خلاصة وعصارة الأمم فكان بحق مادة وأداة مهمة للأبناء عامة

والشعراء خاصة في إبداعاتهم، وتوظيف التراث أصبح ميزة من أهم ميزات الشعر العربي، إن توظيفه في أي فن من فنون الشعر أو في شعر أي شاعر ، يكشف لنا ثقافة ناظمه ووعيه بماضيه بعامة وتراثه بخاصة، وتعد الأهازيج من أكثر فنون الشعر ـ العامي ـ توظيفاً للموروث بجميع أقسامه وأنواعه، مما جعلها وثيقة تاريخية وكنزاً من كنوز الحضارات عبر العصور، وهو فن كغيره من فنون الشعر العربي لم يقتصر علىٰ بلد بعينه، أو حقبة زمنية بذاتها، فقد عرفه العرب منذ العصر الجاهلي في حداء إبلهم في ترحالهم ومتحهم لدلاهم في أبارهم، وفي أفراحهم، وتهمس به الأم في أذن مولودها حتى ينام، وتتفاخر فيه بأمجاده وبطولاته بين الأقران، ولعل الأهزوجة مأخوذة من (الهزج) وهو كما عرفه الفيروز أبادي بقوله: " الهَزَجُ، مِحرَّكةُ من الأغاني وفيه ترنمُ ، قد هَزِجَ كفَرِحَ : إذا تَغنَّى[2]، ولم يقتصر هذا الفن علىٰ الذكر دون الأنثى بل كانت للأنثى منه نصيب وإن لم يكن الأعظم، ومن هذا النصيب قول إحدى الأمهات - في أهزوجة من الموروث الليبي_ مسرورة بقدوم ابنتها وهي تحتضنها وتقبل كلتا يديها :

ازْهَـرْ ما اسْمَحْ زُولَهْ امْنِينْ اظْهَرْ
وأمَّه بالعين اتْراجيهْ
وتِدْعِي للْمُولَى ايْنجيِّهْ
مَرْحَبْتينْ سَبْع اتْراحِيبْ
وَحْدَه مِسْك ووَحْدَه طِيبْ
ووَحْدَه كيف اخْشيم الذيبْ
والْباقي مَدْسُوسَه في الجيب
الدار اللَّي جيتي فيها
قوِّي سيل بداريها
نمشي اخْطيوه ونجيها
نلقى اوليد آخر فيها
نلقى حوش طَنَاش الدار
والجُبَّار اسْطار اسْطار
انْبيح الكلب مونّسها
والمِحْراث امْهَسْهِسْها

ما تِكْرِمْ غير الضِّيفان
وما تذْبح غير الخَرْفان

هذه التحية الطيبة الصادقة النابعة من قلب الأم ، تحمل في طياتها العديد من المعاني القوية الدالة علىٰ مدى شوقها وحبها وفخرها بابنتها التي لا نظير ولا مثيل لها في عينيها ، ويدلنا على ذلك حسن وقوة مفردات هذه التحية ، وحتى يتمكن المتلقي من الولوج إلىٰ خباياها والوقوف علىٰ شيءٍ من معانيها، حاولت دراستها دراسة أدبية مصطلحية علىٰ النحو الآتي :

أزْهَـــــرْ : ورد في معاجم العربيـــة [3] أن الزُّهـــرة : نـوّر كل نبات والجمع زهر، والزهرة - أيضا- : البياض. قال -عليه الســـلام -: " **أَكْـثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ فِي اللَّيْلَةِ الزَّهْـــرَاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَـــرِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تُعْرَضُ عَلَـــيَّ** "[4] ، أي : ليلة الجمعة، وفي حديث الإمام أنس بن مالك في صفة النبي - عليه السلام- : **"كان أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق وليس بالأدم"** [5]، ويقال للمرأة زهـــراء ، وكل لون أبيض كالدرة الزهراء، والزُّهر ثالث ليال من أول الشهر. والزهرة: الكوكب الأبيض. قال الشاعـــر:

قد وكلتني طلتي بالسمسري وأيقضتني لطلوع الزهرة

والزهـــر في اللهجة الليبية ماء الورد أو الزهر، وقد خص به ماء زهر البرتقال أو النارنج من دون غيره من ماء الزهر، ربما لشدة بياض أزهار هذه الشجرة وما تحويه من صفرة داخلها انعكست علىٰ هذا البياض فزادها نور وضياء عن غيرها من النباتات.

ما اسْـــمَحْ : جملة تعجبية جاءت للتعبير عن الدهشة واستعظام صفة الجمال عند الموصوف ، والعجب هو استنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده أو لأنك لم تر مثله قط، فالسماحة مقتصرة عندها علىٰ (أزْهـــر) لا ولن تـــــراه في غيره من الخلق . والسماحة في معاجم العربية من معانها : السلاسة والسهولة. والمسامحة : المساهلة، وتعني – أيضا- : بذل مالا تحب تفضلا، والتسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها[6]،ومن العلامات التي تميز المتصف بالسماحة عن سواه، طلاقة الوجه، حسن البشر بالناس ، محبب إليهم، مألوف في نفوسهم، قريب إلىٰ قلوبهم، وقد حثنا نبينا الكريم علىٰ الاتصاف بهذه الصفة الحسنة، قال -عليه السلام - :**"كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ**

دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ "[7] ، وفي لهجتنا الليبية تطور معنى هذا المصطلح ليتعدى سماحة النفس واستقبال الآخرين بوجهٍ باسمٍ مشـــرق المُحيّا إلى معنى البهاء و الجمال والروعة ؛ بل هي الحُسن عينه.

زولـــــه : ورد في لسان العرب وكذلك في الوسيط أن كلمة زول ، تعنـــي : الشجاع الذكي أو الفطن[8] ، وزاد بعض المجتهدين أن الزول هو الســـمح الكريم وهو - أيضا - الكيس اللطيف ، وجمعها (أزوال). قال ابن السكيت:

قد أروح بالكرام الأزوال من بين عم وابن عم وخال[9]

أما معناه في لهجتنا الليبية فقد تطور هذا المصطلح فلم يعد يقتصر علىٰ الرجل الكريم أو الذكي الفطن بل تعداه ليتصف به كل امرئ سواه ، وتطلق أيضا ويراد بها جمال صورة أو هيأة الموصوف في عيني ناظريه .

امْنِيَنْ اظْهَـــرْ : يدل مصطلح (امنين) في لهجتنا علىٰ الوقت والحين ، ويقابله في اللغة العربية مصطلح (حين) ، والحين : هو وقت بلوغ الشيء المبهم وحصوله[10]، وقد ورد في القرآن الكريم بهذا المعنى في العديد من المواضع منها قوله – تعالى- : (**فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ**)[11].

أما قولها(ظهر) فهو مصطلح عربي فصيح ورد في المعاجم ظهر الشيء: بدا واتضح بعد خفاء فتبين وجوده[12]، قال – تعالى - : (**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِـــشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**)، والظهور يعني الخروج بقوة ، ويقال أن الظهر سمي بذلك ؛ لأنه وقت الظهيرة وهي الفترة التي تكون فيها أشعة الشمس في ذروتها فتكون عمودية ومباشرة علىٰ الأرض ، وقد أحسنت الأم في اختيار هذا الفعل عن غيره من الأفعال الاخرى مثل: (خرج أو جاء أو أقبل) وتوظيفه في هذه التحية البليغة، فكلمة (ظهر) كما ورد أعلاه تدل علىٰ قوة الظهور بعد طول غياب فطغت على وجود سواه في المكان أو المجلس ،فظهور الموصوف كظهور الشمس مع النجوم فكلاهما ينفي ويبطل وجود غيره.

بالعين اتْرَاجيـــــهْ : العين الجارحة وهي أحد وسائل إدراك الأشياء ،وهي أحد أبواب القلب ، وأعمر الطرق إليه، وعملها أكثر أعمال الجوارح وقوعا وتكرارا، والمقصود بالعين هنا العين الوجدانية المشاهدة ، فرؤية المحبوب بعد غياب هو السرور الذي لا تطمح العين رؤية سواه ، وخاصة إذا كان العلاقة التي تربطهما علاقة أمومة، قال – تعالى - : (**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**)[13] ، وقوله:

(فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ)[14] ، في ربط السعادة بالعين زوال للحزن الذي سببه الشوق والخوف علىٰ الغائب والمفقود، وهذا ما جعل بعض العلماء يفضل حاسة البصر عن غيرها من الحواس قال الأنباري في رده عمن قال بفضل السمع عن البصر:" بهذا غلط، وكيف يكون السمع أفضل، وبالبصر يكون الإقبال والإدبار؟ والقروب والنجاة، والبعد والهلاك ، وبه جمال الوجه، وبذهابه شينه"[15] ، كما أن أفضل النعم يوم القيامة هي النظر إلى الله تعالى، كذلك أن ما يراه البصر لا يقبل الغلط أو الشك ، ومدرك البصر أتم وأكمل، والنظر محله أحسن وأعظم من محل غيره من الحواس، وذلك لشرفه وفضله.

تراجيـــــه : ورد في المعاجم بأن الرجاء من الأمل وهو نقيض اليأس، ومن معانيه أيضا ترقب الحصول علىٰ أمر مرغوب فيه[16]، كما ورد أيضاً بمعنى الخوف قال – تعالـــى - : **(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)**[17] ومنه قال بِشر يخاطب ابنته:

فَرَجّي وانتظري إيابي إذا ما القارظ العنزيُّ آبا[18]

وورد - أيضا - بمعنى : التأخير نقول طعام مُرْجى أي: مؤجَّلا مؤخرا، وقد جمعت الأم في قولها (اتْراجيه) المعاني السابقة الثالثة، الخوف والأمل والانتظار وهو استعمال متعارف عليه في اللهجة الليبية، يقول المثل الشعبي: "رَاجِيني يا عَلي بِعْشاك ليْن انْجيب الزيت من غريان[19]".

وتِدْعِلي للْمُولى ايْنجِّيهْ : الدعاء: الطلب[20]، ورد بهذا المعنى في المعاجم العربية للغة، (المولى) اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه المأمول منه النصر والمعونة؛ لأنه الملك، ولا ملجأ للمملوك إلا لمالكه، قال تعالى: **(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ)**[21] ، أما قولها (ينجيه) فهو مأخوذ من النجاء أو النجاة، ومعناه: الخلاص من الشيء[22]، قال تعالى: **(فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ)**[23]، وقال الشاعر:

نجا عامرٌ والنفسُ منه بشِدقه ولم ينجُ جفنَ سيفِ ومِئزَرا[24]

إن اختيار الأم لهذا المصطلح- ينجيه- الايحائي عن غيره من مصطلحات الدعاء جعل النجاة مطلقة غير محصورة في عدد معين ولا مقيدة بزمان ولا مكان بذاته، فنجاة الابنة في الدارين الدنيا ومنها: النجاة من رفاق السوء ووسوسة الشيطان، والنجاة من حوادث الدهر وتقلباته، والنجاة من عذاب القبر وفتنته ونار جهنم في الآخرة .

مَرْحَبْتينْ سَبْع اتْراحَيبْ : مرحبتين مثنى مرحباً من الرحابة والسعة[25]، وتستخدم للترحيب بالزائر، والتأكيد عليه بأن الدار رحيبة واسعة، وهو دليل علىٰ السعادة بقدومه، ولم تكتف الأم بالمثنى بل تعدته للترحيب بصيغة الجمع في قولها (سبع اتْراحيب)، أما استخدامها للعدد سبعة دون سواه من الأعداد فهو اعجاز في حد ذاته، فلهذا الرقم دلالات كثيرة وأسرار عجيبة في الكون والقرآن وأحاديث المصطفي -عليه السلام- فمن القرآن الكريم قوله تعالى علىٰ لسان نبيه نوح -عليه السلام- مخاطباً قومه: **(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)**[26]، وقوله في رؤية عزيز مصر **(وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)**[27]، وقوله - أيضاً- : **(يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ)**[28]، كما ورد هذا الرقم في عذاب قوم سيدنا هود –عليه السلام- الذي أرسله الله إلىٰ قبيلة عاد **(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ)**[29]، وفي قصة أصحاب الكهف أيضا ورد الرقم سبعة **(سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا)**[30]، وغيرها من الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا الرقم، للدالة علىٰ عظمة الله الداعية إلىٰ وحدانيته - عز وجل - ، ومن أحاديث المصطفى -عليه السلام- :(**اجتنبوا السبع الموبقات)**[31]، وقوله:(**من تصبح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر)**[32]، ويقول ابن القيم في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد) في هذا العدد :"وأما خاصية السبع فإنها وقعت قدراً وشرعاً، فخلق الله السموات سبعاً، والأرضين سبعاً، والأيام سبعاً، والإنسان كمل خلقه في سبعة أطوار، وشرَّع الله لعباده الطواف سبعاً، والسعي بين الصفا والمروة سبعاً، ورمي الجمار سبعاً سبعاً، وتكبيرات العيدين سبعاً في الاولى، وقال- عليه الصلاة والسلام- : "مروهم بالصلاة لسبعٍ"[33].

وَحْده مِسْك وَحْده طِيبْ. ذكرت لنا الأم ثلاثة من (التراحيب) السبعة، الأولى مُخضَّلة بالمسك وهو ضرب من الطيب ذو لون أسود يستخرج من دم الغزال[34]، عرفه العرب منذ حضارات ما قبل الاسلام، وقد حظي باهتمام تجار قريش فكانت العطور من السلع التجارية التي تحملها قوافلهم، وكان المسك من بين العطور المتداولة والمشهورة عند

العرب إلىٰ جانب العنبر والعود والصندل، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في وصف الأبرار: (**يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**)[35]، واوصانا المصطفى -عليه السلام- باستخدامه فقال: "أطيب طيبكم المسك"، وكون الحديث عام يؤخذ منه استعمال المسك للميت أيضاً، حيث يتم تطييب بدنه وكفنه به. أما التحية الثانية فجاءت مُخضَّلة بالطيب، والطيب هو: دهن العود، يستخرج من أشجار العود العطرية التي تنمو بشبه الجزيرة العربية، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - :" **من عرض عليه طيب فلا يرده؛ فإنه طيب الريح، خفيف المحمل**"[36].

1- **ووَحْـــده كيف اخْشيم الذيبْ** ، خشم الذئب: أنفه، يحمل هذا المصطلح العديد من المعاني، منها شدة بريق هذا الأنف وكأنه لؤلؤة سوداء علىٰ تاج من ذهب أو لجين، ومنها قوة حاسة الشم لديه مقارنة بغيره من الحيوانات فهو يمتلك حوالي 200 مليون خلية شم داخل أنفه مما يعني أن حاسة الشم لديه أقوى من حاسة الشم لدى الإنسان بمئة مرة، ويعد الذئب الحيوان الوحيد من بين جميع الحيوانات الذي يحب رائحة الطيب[37]، فقد تداولت بعض منصات التواصل الاجتماعي عدد من مقاطع الفيديوهات التي تعبر عن رد فعل الذئب عند شمه رائحة دهن العود، كما شُهيد العديد من الذئاب تجول حول أشجار العود العطرية التي تنمو في جزيرة العرب[38].

الْباقي مَدْسُوسه في الجيب، الباقي: أي بقية التحايا، (مدسوسة): مخبأة أو مخفية، ورد في معاجم العربية، دسستُ الشيء في التراب : أخفيته فيه[39]، ومنه قوله تعالى: (**أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ**)[40]، و(الجيب): شقٌ مفتوح في الثوب متصل بكيسٍ صغيرٍ داخل الثوب، الجمع جُيوب، مأخوذ من الجَوبِ وهو الشَّقُ[41]، قال -تعالى - : (**وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**)[42]، أي : شقوا الصخر، يوحـــي لنا قولها (مدسوسة) قيمة (التراحيب) الأربعة الأخرى التي خبأتها الأم عن أعين الناس واحتفظت بها بسرية تامة في جيب قميصها، أن هـــذه (التراحيب) هي الأجمل والأعظم أثراً في نفس الابنة ، ومن طبيعة الاشياء أن المخفي دئماً هو الأقوى والأعظم .

الدار اللَّي جيتي فيها: الدار معروفة: المكان الذي يقطنه أو يسكنه المرء، ويسمى أيضا بالبيت أو المنزل، وسميت الجنة بدار النعيم أو الخلد لأنها مقام المؤمنين : قال – تعالى - : (**وَقَالُـــوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّـــنَا فِيهَا لُغُـــوبٌ**) [43]، قال

المفسرون[44] دار المقامة ، يعني : الإقامـــة الدائمة التي لا تحـــول عنها ولا انتقال منها، والمراد دار النعيم والخلد، و قال النابغة الذبياني:

يا دار مية بالعلياء فصمد أقوت وطال عليها سالف الأمدِ[45]

وقولها (جيتـــي) : أتيتي وهو مصطلح عربي فصيح، ورد في معاجم اللغة المجيء: الإتيان. جاء جَيْئًا ومَجِيئا، وحكى سيبويه عن بعض العرب: هو يّجِيك، بحذف الهمزة[46]، قال الفرزدق في إحدى نقائضه:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جَمَعتنا يا جرير المجامع

والدار التي قصدتها الأم في كلامها هي بيت الزوجية ويدلنا علىٰ ذلك مصطلح "جيتي".

قـــوِّي سيل بداريها . قوي : القـــوّة معروفة ضد الضعف، والسيل – أيضا- معروف، وجمعه سيول، مصدر من سال الماء يسيل سيلا إذا طفا وجرى ، والسيل أصل واحد يدل علىٰ الجريان والامتداد[47]، قال – تعالى - في كتابه العزيز : **(أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)** ، ويقال في المثل: "أطغي من السيل والليل "[48].

(بداريها) : ورد في معاجم العربية أن البدري : الباكورة ، وهوما جاء مبكرا، وأن البدري من الماشية : ما بدرت أمه في النتاج فجاءت به أول الزمن[49]، وهذا ما قصدته الام من استخدامها لهذا المصطلح ، فالبيت دعاء منها لابنتها بكثرة الأولاد، وأن توالي أبنائها متواليا كاندفاع السيل ، وهو ما تتمناه كل امرأة لأبنائها، فالأبناء هم عزوة المرء وسنده وزينة حياته، قال - تعالى - : **(الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَـــاةِ الدُّنْيَا)**[50]، وهم من يحمل اسمه ويدعو له بعد مماته.

نمشي خطوه ونجيها. نلقى اوْليد آخر فيها.

مشى : تحرك من مكانه ونقل قدميه الواحدة بعد الأخرى ، والخطوة: المسافة بين تلك القدمين، و نجيها: من جاء يجيء جيئا ومجيئا بمعنى أتى، قال عبيد بن الأبرص:

إن الحوادث قد يجيء بها الغد والصبح والإمساء منها موعد[51]

(نلقى) أي : نجد ، يقال لقي فلان الشيء: وجده وصادفه[52] . قال المتنبي متغزلاً:

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحب مالم يبق مني وما بقي[53]

تتمنـــى الأم في هذا البيت أن تجـــد عند ابنتها مولود جديد في كل زيارة لها، وتوظيفها لمصطلح (خطوة) فيه دلالة علىٰ استعجال فترة الولادة ، فالخطوة تدل علىٰ قصر المسافة وبالتالي قصر وقت أو فترة غياب الأم عن بيت ابنتها، أما تفضيلها للذكر دون الأنثى، فهي من عادات الجاهلية التي حاربها الإسلام وحرمها، ولكن بمجيء الاستعمار واحتلاله للدول العربية وما فعله بأهلها من تعذيب ونفي وقتل وهتك للعراض أحي معه من جديد النظرة الجاهلية للبنات، فبات الرجل في نظرهم البطل المجاهد، وحامي الحمى أما البنت فهي الضلع الأعوج وسبب جلب العار ومكمن الضعف لأهلها.

نلقـــى حـــوش طناش الدار ، ورد في معاجم العربية الحوش : فناء الدار ، أو البيت [54]، أما في لهجتنا الليبية فيطلق ويراد به البيت أو المنزل ذاته ، وربما السبب وراء تسميته بالحوش يعود إلىٰ طبيعة تصميمه ، فقد كانت جميع البيوت تبني علىٰ طراز معمري واحد بحيث تكون مفتوحة دون سقف، بها عدد من الغرف ، تسمى كل غرفة بالدار والجمع ديار، ونوافذ هذه الغرف تطل علىٰ فناء البيت (الحوش) المفتوح وهو فناء أشبه ما يكون بحديقة غناء تغطيه عريشة عنب ، ولهذا المنزل باب واحد في الغالب ، ولعل سبب جعلهم النوافذ داخلية هو خوفهم من الأعداء المتربصين بهم من الخارج، وهو فن معماري قديم عرفه الرومان والفنيقيين ، وآثارهم خير شاهد علىٰ ذلك كما عرف هذا المعمار أيضاً ببلادي الشام وتركيا .

(طناش الدار) ، أي : اثنتا عشرة غرفة ، ولهذا العدد دلالات عظيمة ومقدسة عند كل الديانات، فهو عدد الساعات وأشهر السنة ، وعدد العيون التي فجرها سيدنا موسى اثنتا عشرة عيناً، قال – تعالى- : (**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**) وعدد الحواريين اثنا عشر حواري ، ويوسف –عليه السلام- وإخوته اثنا عشر، وتكرر الرقم (12) كثيراً برموز بالآثار القديمة ، وعند البابليين كتبت ملحمة جلجامش علىٰ اثنى عشر لوح[55] ، وعند الفارابي بكتاب المدينة الفاضلة هناك اثنتا عشرة صفة لرئيس تلك المدينة[56]، وقد اختارته الأم ليكون عدد

لغرف منزل ابنتها ، لما فيه من عظم وقوة تدل علىٰ سعة الرزق، فكثرة الغرف دليل علىٰ كبر حجم البيت ، وكثرة الأبناء، وتكاثفهم وتعاضدهم، وقوة ترابطهم الأسري، وهذا لا يتأتى إلا لذي مال وجاه في ذلك الحين، وهو ما تتمناه كل أم لبناتها.

والجُبَّار اسْطار اسْطار . الجُبَّار: النخل ، ورد في لسان العرب: الجبَّار العظيم القوي الطويل ، وقال ابن سيده : ونخلة جبَّارة ، أي : فتية قد بلغت غاية الطول وحملت ، والجمع جبار[57]، و(اسْطار اسْطار) ، السطر: الصفُّ من كل شيء، تصور لنا الأم في هذا الشـــطر المزرعة أو الحقل المحيط بذلك المنزل العظيم في صورة رائعة والباسقات العظيمات يقفن في صفوف منتظمة أمامه كأنهن جنود في صفوف كتائب، وفي اختيارها للنخلة دون سوها من الأشجار دلالة واضحة علىٰ منزلة النخلة عند العرب، فهم لم يعظموا شجرة كتعظيمهم النخلة، لذلك تعددت أسماؤها وكثرت أمثالها عندهم، ولا يوجد وصف شامل عند العرب كوصفهم النخلة وخيرها وبركتها وجمالها، وقد اختارها الله عز وجل لتكون طعاما لمريم -عليها السلام- لما فيها من عظيم فائدة علىٰ المرضع ورضيعها، قال – تعالى- : (**وَهُـــزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**)[58].

(انْبيح الكلب مونسها) : النباح صوت الكلب، يعد الكلب أول حيوان استأنسه الإنسان ، وارتبط كل منهما بالآخـــر، وتولّدت بينهما صداقة أخذت تنمو خـــلال العصور، لما يتمتع به الكلب من صفات الوفاء والاخلاص للإنسان وقدرته الكبيرة علىٰ الصبر وتحمل المشاق والشجاعة ، ولاتزال الآثار الباقية من العصور الأولى تدل علىٰ وجود الكلب مع الانسان منذ الآف السنين ، حين كان يعيش في الكهوف ، ويستفاد من الكلب في أمور كثيرة كالحراسة والصيد والزينة وتعقب المجرمين ، وارشاد المكفوفين إلى الطريق الأمن ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله – تعالى- في قصة أصحاب الكهف : (**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُـــودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا)**[59]، ويعود ضمير الهاء في كلمة (مونسها) علىٰ حقل أو مزرعة الابنة التي وصفتها الأم وكأنها جنة من جنان الأرض، فهذه الجنة يلزمها حارسا شجاعا يقظنا طول الليل والنهار يؤنسها بنباحه ويحميها من أعين المتربصين بها.

2- والمحراث امْهسْهِسْها، المحراث معروف ، أما الهسهسة فقد وردت بعدة معاني في

معاجم العربية ، جاء في لسان العرب، الهسهسة : الصوت الخفيف من كل شيء، والهسيس والهسيسة: ضرب من المشي ، والهسيس – أيضا- : المدقوق من كل شيء، وهسهس الماء : سال[60]، أما في اللهجة الليبية فقد جاءت قريبة من معناها اللغوي السابق ـ المدقوق والمكسور من كل شيء ، وهسهس المحراث الأرض ، حطم قشرتها من كثرت الحرث وشدته ، فتبدلت حالها من أرض بور و جرداء إلىٰ روضة غناء .

ما تِكْرِمْ غـــير الضيفان : الكرم معروف هو نقيض البخل وضده ، والتاء في الفعل(تكرم) تعود علىٰ الدار، وهو مجاز حيث شبهت الأم الدّار بالإنســـان وحذفت المشبه به وجاءت بصفة من صفاته وهو الكرم ، و(غير) هنا وردت بمعنى : (إلا)، وقصر الإكرام علىٰ الضيف لا يعنـــي حرمان غيرهم من ذوي القربة والمحتاجين، لأن اطعامهم والنفقة عليهم واجبة شرعاً ، وقانوناً، وقد نصت شعرتنا الاسلامية علىٰ إكرام الضيف، وربطه نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام- بالإيمان بالله عز وجل لعظيم منزلته لديه، فقال **:" مَنْ كَانَ يُؤْمِـــنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ "**[61] .

(وما تذْبـــح غير الخِرْفـــان) : الذبح معروف ، و(الخرفان) جمع خـــروف وهو ذكر الضأن ، ومن العادات المعروفة عند العرب منذ القدم، أن يقوم سـيد القوم أو شيخهم ووليهم بالذبح وإراقة الدم أمام الضيف، تعبير منه على عظم منزلته عندهم، ومدى سعادتهم بقدومه، وقد خص بهذا الذبح الخروف دون غيره من الحيوانات لعظيم منزلته عندهم، كيف لا وهو القربان الذي قبله الله - عز وجل - من هابيل ابن سيدنا آدم -عليه السلام -، ثم بعثه ليكون فداء لنبيه إسماعيل -عليه السلام- قال – تعالى- : (**وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**)[62] وفديناه بذبح عظيم "، وأجاز رسولنا الكريم عليه أفضل - الصلاة والسلام - الصلاة في مرابضها دوناً عن سائر الخلوقات ، قال -عليه السلام-:" **صلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في أعطان الإبل**"[63]، فإكرام الضيوف والبيت أو المنزل ذي الاثنتي عشرة غرفة، والمزرعة المحفوفة بالزرع والنخيل، وكلاب الحراسة، لا يستطع امتلاكها إلا من كان ذا جاهاً وسلطاناً بين الناس، وهذا ما تتمناه كل أم لبناتها.

الخاتمة:

1- إن فقد الموروث الثقافي لأي سبب كان، هو فقد للماضي وللهوية وللأصالة، بل هو فقد لتذوق مواطن الجمال للنصوص الشعرية، والتحليل الأدبي للفنون بشتى أنواعها

وفروعها، لأن الموروث الثقافي هو منبع الذوق الأدبي وحجر أساسه المتين.

2- على الرغم من أن الأهازيج الليبية لا تقل كماً ومنزلة عن أهازيج غيرها من الأقطار الأخرى، إلا أننا نفتقد إلى البحوث أو الدراسات التي تهتم بدراسة هذا الفن الأصيل والتعريف به .

3- إن تفضيل الأهل للذكر عن الانثى ليس كرهاً لها بل هو وليد العادات والتقاليد التي توارثوها خوفاً علىٰ بناتهم مما حرمه الله بوقوعهن في أيدي الغازات والمتربصين بهم في ذلك الحين.

4- إن اللهجة الليبية قريبة جداً من اللغة الفصيحة، فأغلب مفردات هذه الأهزوجة لا تحتاج إلىٰ الرجوع إلىٰ معاجم اللغة لفهم معانيها.

5- إن مفردات المدح والوصف في الأهازيج الشعبية لا تقل في قوتها ودلالة معانيها عن مفرداته في الشعر الفصيح.

6- حضور الموروث الديني بقوة في هذه الأهزوجة، هو دليل علىٰ تمسك أهل هذا البلد بدينهم وسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام، رغم مساعي الغزاة لطمسه، والقضاء علىٰ الاسلام وأهله ولغته.

7- إن الشـــواهد والتشبيهات التي استعانت بها الأم للتعبير عن شوقها وحبها لابنتها تعد دليلاً واضحاً علىٰ ثقافة صاحبتها المستمدة من البيئة أو المحيط الذي نشأت به، وهي ثقافة موسوعية نفتقدها عند غيرها من شعراء العامي والفصيح عامة .

الهوامـــــــش:

(1) - ينظر الحفاظ علىٰ التراث، جمال عليان، سلسلة عالم المعرفة، ص: 60.
(2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ، 2005م، (هجز).
(3) - ينظر لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى، 2000م، زهـــر.
(4) - المعجم الأوسط : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة 1/ 87، رقم الحديث : 241 ، وسنن أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، الحديث(1047)، وسنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ-200م، الحديث (1374) ، و سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد ، تحقيق، محمد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الحديث(1085)، وصحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط:1 ، 1463هـ- 2002م، ج1، ص214.
(5) - صحيح البخاري، الحديث(3547)، وصحيح مسلم، الحديث(2347).
(6) - ينظر لسان العرب، سمح.
(7) صحيح البخاري، الحديث، (6021)، ومسند الإمام أحمد، الحديث (14877) وسند الترميذي الحديث (1970).
(8) - السابق زول، وينظر أيضاً المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1392هـ-1972م، زول.
(9) - لسان العرب، زول.
(10) - لسان العرب، حين.
(11) سورة الروم، الآية 17.
(12) - السابق، ظهر.
(13) سورة الفرقان، الآية: 74.
(14) سورة القصص، الآية: 13.
(15) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد عمران، دار عطاءات العلم(الرياض)- دار بن حزم(بيروت)، الطبعة الخامسة، 1440هـ-2019م، مج2، ج3، ص142.
(16) - ينظر لسان العرب، رجا.
(17) سورة نوح، الآية 14.
(18) مجمع الأمثال، الميداني أبو الفضل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 75/1
(19) - التعابير الشعبية الليبية دلالات نفسية واجتماعية ، علي حسن المصراتي، منشورات المنشأة

العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس، الطبعة الاولى 1982م، ج1،ص 288.
(20) - لسان العرب، طلب.
(21) سورة محمد، الآية: 11.
(22) - لسان العرب، نجا.
(23) سورة يونس، الآية 92.
(24) - البيت لحماد بن عامر من بني عمرو بن الحارث، من شعراء العصر الجاهلي ، ينظر: ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق محمد محمود الشنقيطي، دار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1385هـ-1965م، ج3،ص27، والعقد الفريد، ابن عبد ربه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1404هـ ، ج16، ص 97.
(25) - ينظر لسان العرب، رحب.
(26) سورة نوح، الآية 15.
(27) سورة يوسف، الآية 43.
(28) سورة يوسف، الآية 46.
(29) سورة الحاقة، الآية 6- 7.
(30) سورة الكهف، الآية 28.
(31) - صحيح البخاري، الحديث(2766)، وصحيح مسلم، الحديث(89).
(32) - صحيح البخاري، الحديث(5025).
(33) - زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم (الرياض)- دار ابن حزم(بيروت)، الطبعة الثالثة، 1440هـ- 2019م، ج4، ص90.
(34) - ينظر لسان العرب، مسك.
(35) سورة المطففين، الآية 25- 26.
(36) - صحيح مسلم، الحديث(2253)، وسنن النسائي، الحديث (9351)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ- 200م، الحديث(8264).
(37) – wiki,https:// ar.m.wikipedia. org
(38) – https: // al-marsd.com
(39) - لسان العرب، دسَّ.
(40) سورة النحل، الآية 59.
(41) - ينظر السابق، جوب.
(42) سورة الفجر، الآية 9.
(43) سورة فاطر، الآية: 34-35.
(44) تفسير الطبري جامع البيان، أبوجعفر محمد الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، ج19، ص 86.

(45) - المعلقات العشر، إعداد وشرح: أحمد عبد الله فرهود، وزهير مصطفى اليازجي، دار القلم العربي، حلب- سوريا، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م، ص128.
(46) - لسان العرب، جيأ.
(47) - ينظر لسان العرب، سيل.
(48) - مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج1،ص441.
(49) - لسان العرب، بدر.
(50) سورة الكهف، الآية 46.
(51) -ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، شركة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، 1957م، ص42.
(52) - لسان العرب، وجد.
(53) - اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، أبو العلاء المعري، تحقيق، محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1492هـ- 2008م، ص779.
(54) - لسان العرب، حوش.
(55) ينظر: ملحمة جلجامش، نائل حنون، دار الخريف للنشر والتوزيع، دمشق، قصاع، ط:1، 2006م.
(56)ينظر المدينة الفاضلة للفارابي،على عبدالواحد وافي، نهضة مصر القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
(57) - لسان العرب، جبر.
(58) سورة مريم، الآية :25.
(59) سورة الكهف، الآية 18.
(60) - لسان العرب، هسَّ.
(61) -صحيح البخاري، الحديث (6019)، وصحيح مسلم، الحديث(48).
(62) سورة الصافات، الآية 107.
(63) - سنن الترمذي، الحديث (348)، وصحيح مسلم، الحديث(360)، وسنن أبو داود، الحديث (184).